التفسير البياني للقرآن الكريم

الدكتـــــورة
وسميةجويعد العجمي
جامعة الملك سعود بالرياض

التفسير البياني للقرآن الكريم

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً-.

أما بعد:

فإن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وجعله هدى وبرهاناً لهذه الأمة، ويسّره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [القمر: 17]، أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه ويبلغونه للناس بألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم الحجة.

وقد تنوعت أساليب العلماء في تفسير القرآن العظيم، فمنهم من يفسر القرآن بالقرآن، ومنهم من يفسره بالأخبار والآثار، ومنهم من يفسره من حيث اللغة العربية بأنواعها.

وفي هذا البحث الموجز سأتناول أسلوباً من أساليب التفسير، من خلال هذا العنوان: «التفسير البياني للقرآن الكريم».

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف التفسير البياني.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف البيان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف التفسير البياني.

المبحث الثاني: تاريخ التفسير البياني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصر ما قبل التدوين.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: عصر النبوة.

الفرع الثاني: عصر الصحابة والتابعين.

المطلب الثاني: عصر ما بعد التدوين.

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أبو عبيدة معمر بن المثنى.
الفرع الثاني: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ.
الفرع الثالث: ابن أبي الربيع الإشبيلي.
المبحث الثالث: نشأة وتطور التفسير البياني المعاصر.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: بدايات ظهور التفسير البياني المعاصر.
المطلب الثاني: تأصيل التفسير البياني.
وفيه خمسة فروع:
الفرع الأول: دوافع نشأة التفسير البياني عند أمين الخولي.
الفرع الثاني: المقصد الحقيقي عند أمين الخولي من التفسير البياني.
الفرع الثالث: خطوات المنهج البياني في التفسير عند أمين الخولي.
الفرع الرابع: أمثلة تطبيقية للتفسير البياني عند أمين الخولي.
الفرع الخامس: تقويم مثال من تفسير الأستاذ أمين الخولي في ضوء منهجه.
المطلب الثالث: الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن (بنت الشاطئ).
وفيه ثلاثة فروع:
الفرع الأول: حياتها العلمية ومؤلفاتها.
الفرع الثاني: منهجها في التفسير.
الفرع الثالث: مثال تطبيقي على مدى التزامها بمنهجها.
الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.
المراجع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المبحث الأول
تعريف التفسير البياني

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: التفسير لغة واصطلاحاً
المطلب الثاني: البيان لغة واصطلاحاً
المطلب الثالث: تعريف التفسير البياني

تمهيد:

يتألف مصطلح التفسير البياني من جزأين، ركّبا تركيباً وصفياً، ولمعرفة معنى المصطلح الوصفي يقتضي الأمر بيان معنى كلٍّ من الجزأين ثم معرفة المركّب.

ولذا جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
التفسير لغة واصطلاحاً

أ ـ التفسير في اللغة:

1 ـ اختلف علماء اللغة في لفظ (التفسير) فقيل: هو (تفصيل) من (الفَسْر) بمعنى الإبانة والكشف، أي بيان اللفظ المشكل[١].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، أي تفصيلاً[٢].

2 ـ وقيل هو: (مقلوب) من (سَفر) ومعناها أيضاً: الكشف، يقال: سَفَرَت المرأة سفوراً، إذا ألقت خمارها عن وجهها، فهي سافِرٌ، وأسفر الصبح: أضاء، وإنما بنوا (فسر) على التفصيل، فقالوا: تفسير للتكثير[٣].

قال الراغب الأصفهاني: (الفَسْر) و(السَّفْر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن نجعل الفسر لإظهار المعنى المعقول... ونجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[٤].

ب ـ التفسير اصطلاحاً:

(عِلْمٌ يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه)[٥].

وقال الزرقاني: (علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[٦].

وقال القطان: (بيان كلام الله المتعبَّد بتلاوته المنَزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم)[١].

---

(١) تهذيب اللغة: الأزهري، ج:12، ص: 407.

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ص 416.

(٣) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ص 416.

(٤) مفردات القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 636.

(٥) الإتقان: السيوطي 849.

(٦) مناهل العرفان: الزرقاني ص 423.

وإذا تأملت هذه التعريفات تبين لك ما يلي:
أنها متفقة على أن التفسير هو بيان المعنى وإيضاحه.
فبيان المعنى هو القاسم المشترك بين هذه التعريفات[٢].

(١) مباحث في علوم القرآن: القطان ص: 335.
(٢) ينظر: اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، محمد سليمان، ج 1/ص35.

المطلب الثاني
تعريف البيان وموضوعه

أ- البيان لغة: الوضوح والفصاحة[١].

وفي الحديث: «إنّ من البيان لسحراً»[٢].

والمصدر منه تبيان -بكسر التاء- قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ [سورة النحل: 89].

قال أبو البقاء الكفوي: «البيان في الأصل مصدر بان الشيء، بمعنى تبين وظهر، أو اسممن بيّن، كالسلام والكلام، ثم نقله العرف إلى ما تبين به من الدلالة وغيرها، ونقله الاصطلاح إلى الفصاحة، وإلى ملكة أو أصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة، وقيل: البيان ينطلق على تبيين، وعلى دليل يحصل به الإعلام على علم يحصل منه الدليل[٣]».

ب- اصطلاحاً:

البيان أعم من البلاغة، وهو الدلالة على ما لم يعلم بالحسن والصورة، من أي جنس، نطقاً أو إشارة أو غير ذلك، وإن كان أكثر ما ينطق اسم "البيان " على اللفظ دون غيره، والبيان مأخوذ من الظهور والانكشاف، أو التفرق، ومنه قيل: بانت المرأة، إذا انقطعت العصمة بينها وبين زوجها، وقيل منه: غراب البين، فأما قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ [الرحمن: 3-4]، فالمراد: أنه كلام مفيد المعنى، في جزالة من اللفظ وحسن تأليف، وموقع في قلوب السامعين»[٤].

والبيان أيضاً هو التعبير عما في الضمير، وإفهام الغير.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، باب: بين، 293/34.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: إن من البيان لسحراً، 138/7، حديث رقم 5767.

(٣) الكليات، أبو البقاء الكفوي 395/1.

(٤) ينظر: نكت الانتصار لنقل القرآن، الصيرفي ص 256. نقلا: كتاب: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، د. هيا ثامر العلي ص 165-164.

وقيل: هو الكشف عن شيء أهم من النطق، وقد يطلق على نفس التبليغ، كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: 4].

أما أبو عثمان الجاحظ فيرى أن «البيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه... والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغْتَ الإفهام، وأوضحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1].

وعن البيان تحدث صاحب "دلائل الإعجاز" فقال: «ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوَشْي، ويصُوغُ الحَلْيَ، ويلفظ الدر، وينفث السِّحر، ويَقْرِي الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر»[2].

ج- موضوعه:

«وموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان، في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب... ومن هاهنا غلط مفسرو الأشعار في اختصارهم على شرح المعنى وما فيه من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة»[3].

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ 76/1.
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص 5-6.
(٣) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير 7/1.

المطلب الثالث

تعريف التفسير البياني

إن مصطلح "التفسير البياني" مصطلح جديد، أطلقه الدكتور أمين الخولي، والدكتورة عائشة عبد الرحمن، ولم يضعا له تعريفاً، وبعد البحث وجدت له تعريفاً كما يلي:

الأول: وقد ذكره الأستاذ الدكتور أحمد سعد الخطيب بقوله: «التفسير البياني هو لون من التفسير يتخذ من دراسة بلاغة القرآن هوية له، حيث تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل، ووصل وفصل، وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي، أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية، أو تحقيق في العلاقات اللفظية والمعنوية، أو كشف للدلالات الحالية والمقالية.

والبحث في هذا الجانب يعدّ بحثاً أصيلاً في جوهر الإعجاز القرآني، ومؤشراً دقيقاً في استكناه البلاغة القرآنية»[1].

أما التعريف الثاني: فقد ذكره د. فاضل السامرائي قائلاً: «التفسير البياني هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير»[2].

وبعد النظر والتأمل يظهر لي –والله أعلم- أن التفسير البياني هو التفسير البلاغي، ولذا فإن أقرب ما يعرّف به هو أنه: «إظهار مراد الله عز وجل وفق أساليب البلاغة، على حسب الطاقة البشرية».

---

(١) ينظر: مفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب 347/1.

(٢) ينظر: على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي 7/1.

المبحث الثاني
تاريخ التفسير البياني

وفيه مطلبان:
المطلب الأول: عصر ما قبل التدوين.
المطلب الثاني: عصر ما بعد التدوين.

المطلب الأول
مرحلة ما قبل التدوين

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على أمة كانت تقيم للشعر أسواقاً وللخطابة ندوات، وتعدّ الشعر ديواناً وسجلا للمفاخر(١).

نزل القرآن على أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة، وعُرفت بحسن الأداء، وجمال المنطق، وسلامة التعبير.

وما زال الناس بعد أربعة عشر قرناً يرددون قصائدهم ويحفظون خطبهم، وهم يعدّونها مثالاً للبلاغة والفصاحة، وحين نزل القرآن ملك ألبابهم، وأسر عقولهم، وأخذ منهم كل مأخذ(٢).

«وخلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أموراً، جملتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة، وأصح المعاني الحسنة»(٣).

وقد حسب بعض المؤرخين للمنهج البياني في التفسير خلو صدر الإسلام منه، وتجاوزه إلى ما بعده حين ظهرت المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي، وهم يحسبون أن معرفة البيان القرآن فرع عن معرفة المصطلحات البلاغية، وفاتهم أن القوم قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي البيان، وإن فاتهم معرفة مصطلحاته التي ظهرت من بعدهم، فهم يعرفون مناحي الإعجاز والإطناب ومواضع الحقيقة والمجاز، وقد كفانا الجاحظ مؤنة الرد على من أنكر ذلك، فقال: «فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلم ذكروا العَيِيّ والبكيءَ، والحَصِر والمفْحَم، والخطل والمسهب، والمتشدّق، والمتفيهِق، والمِهمار، والثرثار، والمكثار، والهمّار؟ ولم ذكروا الهُجْر والهَذَر، والهَذَيان والتخليط؟، وقالوا: رجل تِلِقَّاعة، وفلان يتلَهْيَع في خطبته، وقالوا: فلان يخطئ في جوابه، ويحيل في كلامه، ويناقض في خبره، ولولا أن هذه

---

(١) ينظر: المنهج البياني في القرآن الكريم، د. كامل سعيفان ص 5.
(٢) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي ص 106.
(٣) ينظر: بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي ص 65.

الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض، لَمَا سمّى ذلك البعضُ البعضَ الآخر بهذه الأسماء»[١].

ولا شك أن هذه الأوصاف والمسميات التي ذكرها الجاحظ ترسم الجو البلاغي الذي تنفست فيه المعاني البيانية قبل أن توسعها المصطلحات البلاغية المحدثة، وفي ذلك ما يدفعنا إلى تلمس الأصول الأولى للتفسير البياني للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه[٢].

وإذا ما فعلنا ذلك فإننا سنجد في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك، وتفسير صحابته، وتابعيهم.

وفي هذه الفروع الثلاثة أذكر نماذج من ذلك:

الفرع الأول: نموذج من التفسير البياني عن النبي صلى الله عليه وسلم:

فمن ذلك: بيانه صلى الله عليه وسلم للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة: 187]، ببياض النهار وسواد الليل [٣]، منتقلاً بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز[٤].

الفرع الثاني: نموذج من عصر الصحابة رضي الله عنهم:

ظهر هذا اللون من التفسير فيما نقل من تفاسير الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من عُرف عنه ذلك هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ حيث كان يكثر من التفسير اللغوي، ويرجع فيه إلى أشعار العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب[٥].

وقد صدرت عنه أقوال وتطبيقات متعددة لهذا اللون من التفسير، سنذكر لها مثالاً:

روى ابن جرير الطبري في تفسير قول الله عز وجل: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ 1/90-91.
(٢) ينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د. محمد رجب بيومي ص 9.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم}، حديث رقم 4510.
(٤) ينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د. محمد رجب بيومي ص 12.
(٥) ينظر: المرجع السابق ص 14.

الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: 266]، أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عن هذه الآية، فما وجد أحداً يشفيه حتى قال ابن عباس -وهو خلفه-: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئاً، فتلفت إليه فقال: تحوّل هاهنا لم تحقر نفسك؟ قال: "هذا مثل ضربه الله عز وجل، فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما كان إليه"[١].

فهذا مثال للتفسير البلاغي، وهو من باب الاستعارة التمثيلية، وقد ألمع إليه ابن عباس بقوله المقارب: هذا مثل ضربه الله عز وجل...[٢].

الفرع الثالث: نماذج من عصر التابعين رحمهم الله:

كان لابن عباس رضي الله عنهما تلاميذ أخذوا عنه التفسير، ومن تلاميذه الذين تأثروا به مجاهد رحمه الله، ومن ألوان التفسير التي ظهرت في تفسير مجاهد التفسير البياني، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1-قال تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب ﴾ [المسد: 4]، قال مجاهد: تمشي بالنميمة [٣].

2-قال تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [ص: 20]، قال مجاهد: فصل الخطاب: الفهم في القضاء[٤].

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري 4/682-683.
(٢) ينظر: خطوات التفسير البياني، د. محمد رجب بيومي ص 21.
(٣) معجم غريب القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي ص 39.
(٤) المرجع السابق ص 156.

المطلب الثاني
عصر ما بعد التدوين

ظهرت مؤلفات عديدة في عصر التدوين اهتمت بالتفسير البياني، ومن النماذج على ذلك ما أذكره في الفروع التالية:

الفرع الأول: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النحوي اللغوي:

وأول ما يصادفنا في هذا العصر –عصر التدوين- كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210هـ، وقد اتجه إلى التفسير بالرأي في كتابه، معتمداً على أن القرآن قد نزل بلغة العرب، وعلى طريقتهم في الكلام، فلا بد أن يُفْهَم لفظاً وتركيباً في ضوء ما عُرِف عنهم من الألفاظ والتراكيب، وقد كان ابن عباس سلك هذا المسلك من قبل، وحرص عليه أبو عبيدة.

كما أن أبا عبيدة أول من تكلم بلفظ المجاز؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة بن المثنى في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية»[1].

وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة، أو مَثَل، أو تشبيه، أو كناية، وما تتضمنه من ذكر أو حذف، أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن، وقد يكون في ذلك بعض التجوز في التحديد، ولكنه منهج مبدئي خطّه، وله بذلك موضعه من التقدير[2].

وهذا مثال يعطي فكرة واضحة للفهم البياني عنده:

قال أبو عبيدة –مفسراً قوله تعالى: ﴿ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ [القصص:76]- :«أي مفاتح خزائنه، ومجازُه: ما إنّ العُصْبة

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم 88/7.

(٢) ينظر: خطوات التفسير البياني، د. محمد رجب بيومي ص 46.

ذوي القوة لتنوء بمفاتح نعمه، ويقال في الكلام: إنها لتنوء بها عجيزتها، وإنما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله، والعرب تفعل مثل هذا.

قال الشاعر:

فديت بنفسه نفسي ومالي * ولا آلوك إلا ما أطيق

والمعنى: فديت بنفسي ومالي نفسه.

وقال:

وتركب خيل لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

والخيل هنا الرجال، وإنما تشقى الضياطرة بالرماح.

وقال أبو زبيد:

..... * والصدر منه في عامل مقصودِ

وإنما الرمح في الصدر.

ويقال: أعرض الناقة على الحوض، وإنما يعرض الحوض على الناقة»[1].

الفرع الثاني: الجاحظ:

هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ أحد أئمة الأدب والاعتزال، ولد بالبصرة في منتصف القرن الثاني، وتوفي بها سنة 255هـ[2].

من مؤلفاته: "نظم القرآن"، وهو كتاب مفقود، إلا أن كتب الجاحظ نفسه والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارة إليه وبيان غرضه. وله: "البيان والتبيين"، وغير ذلك.

ولم يكتب كتاباً خاصاً بالتفسير، ولكنه مع ذلك يعدّ رجل التفسير البياني الأول، الذي رسم طريقه؛ لأن الرجل - بما ضرب من أمثلة قرآنية على ما يريد من فنون البلاغة وأساليب البيان – قد جعل القرآن كما هو دائماً القمة التي تتجه إليها الأنظار السديدة عند التماس النمط العالي من الفن الرفيع، فأطال في الاستشهاد بفرائده، ووقف عند كثير من آياته محللاً شارحاً، ومهتدياً إلى أسرار تفتحت مغاليقها على يديه، حتى اجتمع له من

(١) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة 2/110-111.
(٢) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي 5/2101، والأعلام للزركلي 5/74.

ذلك أصول وافية كانت أسس البلاغة العربية، وعلى عمدها الراسخة نهض الفن البلاغي[1].

لم يكن الجاحظ في تفسيره ممن يُغْرِبون في التأويل، فإن بصره بالأساليب الأدبية كان يهديه إلى أسرار البيان فيما يتناول من كتاب الله، ولقد نَظَر إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فأطال النظر الفاحص ليهتدي إلى فِطَن بارعة في التحليل والاستنتاج، كانت عون البلاغيين جميعاً في كثير مما كتبوه عن اللفظ والجملة والصورة.

فما تحدَّث البلغاء عن فصاحة الكلمة والكلام، وأسرار الحذف والذكر، ومواضع الإيجاز والإطناب، ومجال التشبيه والكناية والاستعارة، وغيرها من الأبواب، إلا بعد أن عرض لهم الجاحظ فنوناً من استشفافه الذوقي لكتاب الله.

استمع إليه وهو يتحدث عن ألفاظ القرآن حديثاً عالياً؛ إذ قال في الباب الأول من البيان والتبيين[2]: «وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً!، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج».

ومعنى ما قاله الجاحظ هنا: أن ألفاظ اللغة مهما كانت صحيحة ليست مما يساق سوقاً دون اختيار، وإنما تحسن الكلمة في موضع وتقبح في موضع آخر[3].

---

(١) ينظر: خطوات التفسير البياني، د. محمد رجب بيومي ص 64.
(٢) ج 1 ص 33.
(٣) ينظر: خطوات التفسير البياني، د.محمد رجب بيومي ص 81.

الفرع الثالث: ابن أبي الربيع الإشبيلي:

هو: أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد القرشي الإشبيلي المفسر النحوي، المتوفى سنة 688هـ، له: تفسير القرآن الكريم.

تجلى التفسير البياني لدى ابن أبي الربيع في كثير من الآيات التي اشتمل عليها تفسيره، ومن النماذج على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة: 14].

قال ابن أبي الربيع: «وجاءت الجملة الأولى فعلية وهي (آمنا) كأنهم عند لُقِيّهم المؤمنين كان من المؤمنين إعراض عنهم لكفرهم، فقالوا عند ذلك: آمنا فَلِم تُعْرِضون عنا؟ فالجملة الفعلية يحسن أن تقع هنا.

وإذا تخلَّصوا إلى شياطينهم بوجهٍ ما -لأنهم يمتنعون عنهم في الظاهر خيفة أن ينسبوا إليهم فلا ينفعهم عند المؤمنين قولهم: آمنا- قالوا: (إنا معكم) على جهة التوكيد، وباطننا معكم، وإن كنا في الظاهر مع المؤمنين، فأتَوا لذلك بـ (إنّ) التي هي جواب القسم، ثم قالوا: إنما نحن مستهزئون بهم في إظهارنا لهم الإيمان، وأما البواطن فمعكم. فاحتاجوا إلى أن يسوقوا هذه الجمل مؤكّدة مثْبَتة، فثبتوها بـ (إن) التي تكون جواباً للقسم، وتكون الأولى جاءت غير مؤكدة؛ لأن (آمنا) لا حظّ لها في القلب، وما ليس له في القلب حظ فليس بمستحكم ولا لازم، وقولهم: (إنما نحن مستهزئون) هي صفتهم الباطنة فهي مستحكمة، فجاء بـ (إن) مؤكدة؛ إعلاماً بأن ما يكون من القلب فهو ثابت، وما لا يكون من القلب فهو عَرَض زائل»[1].

(١) تفسير القرآن الكريم لابن أبي الربيع، تحقيق: د. صالحة الغنيم 270/1.

المبحث الثالث
نشأة وتطور التفسير البياني المعاصر

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: بدايات ظهور التفسير البياني المعاصر
المطلب الثاني: تأصيل التفسير البياني
المطلب الثالث: عائشة بنت الشاطئ

المطلب الأول
بدايات ظهور التفسير البياني المعاصر

مرّ التفسير البياني المعاصر بمرحلتين أساسيتين هما: ظهوره على يد بعض العلماء، ثم تأصيله وإبرازه على يد آخرين.

وفي هذا المطلب أتحدث عن المرحلة الأولى.

وأبرز روادها الشيخ محمد عبده، حيث نقل عنه قوله: «لا يتعظ الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده، وتخشع لوعيده، إلا إذا عرف معانيه، وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ، مع النظر في بعض النحو، كنحو ابن هشام، وبعض متون البلاغة كبلاغة عبد القاهر، وبعد ذلك يكون له ذوق في فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن»[1].

هذا النص وغيره من النصوص الكثيرة التي جاءت في تفسير المنار، تدل على أن الأستاذ الإمام هو أول من وضع نواة التفسير البياني للقرآن الكريم في العصر الحديث، وإن لم يلتزمه[2].

ومن الأمثلة التي تظهر بذور هذا المنهج عنده، ما جاء عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿والفجر * وليال عشر﴾ [الفجر: 1-2]، حيث قال: «كثر خلاف المفسرين والرواة في معنى كلٍّ من الفجر وليال عشر، إلى آخر ما أقسم به، وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى، ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه، وغالب ذلك يجري على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم، وقد جرت سنة الكتاب بأنه إذا أريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه، كيوم القيامة في: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ﴾، وكاليوم الموعود في سورة: ﴿والسماء ذات البروج﴾، وكليلة القدر في سورتها، فإذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الاسم، كما سبق في قوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس﴾ [التكوير: 17-18]، فالفجر هنا- على هذا-

---

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ص 182.

(٢) ينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن، د. كامل علي سعفان ص 43، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، د. فهد الرومي 878/3.

هو جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الأسود، وينبعث الضياء لمطاردة الظلام، وهو وقت تنفس الصبح، وهو معهود في كل يوم، فصح أن يعرّف بالألف واللام، والمراد -والله أعلم- من ليال عشر يتشابه حالها مع حال الفجر، وهي ما يكون ضوء القمر فيها مطارداً لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة، فكأنه وضع التناسب على شيء من التقابل، فضوء الصبح يهزم ظلمة الليل، ثم يسطع النهار ولا يزال الضوء إلى الليل، وضوء الأهلة في عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام، ثم لا يزال الظلام يغالبه إلى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه»[١].

إن هذا المثال وغيره من الأمثلة التي وردت في تفسير المنار لمحات عابرة، تكشف عن نكتة بلاغية خفية، أو لمحة بيانية ذكية، ولم تكن تؤلف في جملتها منهجاً أدبياً متكاملاً يمكن نسبته إليها وتميزها به[٢].

ولعل سبب ذلك أن التفسير البياني لم يكن المقصد الأساسي للإمام، ذلكم أنه نص في مقدمة تفسير المنار على الهدف الذي يرمي إليه من التفسير فقال: «والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء ذلك من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله»[٣].

---

(١) ينظر: تفسير جزء عم، الشيخ محمد عبده ص 76-77.
(٢) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي 880/3.
(٣) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ص 17.

المطلب الثاني
تأصيل التفسير البياني

هذه هي المرحلة الثانية من مراحل التفسير البياني المعاصر، مرحلة التأصيل، وأبرز روادها أمين الخولي.

وهو: أمين بن إبراهيم بن عبد الباقي الخولي، ولد عام 1895م في محافظة المنوفية بمصر، أديب لغوي، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر، دَرَسَ بمدرسة القضاء الشرعي، وعُيّن أستاذاً في الجامعة المصرية، وقد مثّل مصر في مؤتمرات عدة، له مؤلفات: منها: مالك بن أنس ترجمة محررة، وفنّ القول، والمجددون في الإسلام، وغير ذلك. توفي عام 1966م[1].

وقد جعلت هذا المطلب في خمسة فروع:

الفرع الأول: دوافع نشأة التفسير البياني عند أمين الخولي:

كان التفسير قبل إنشاء الجامعة المصرية وقفاً على بيئة الأزهر، ومدرسة القضاء الشرعي، ودار العلوم، فلما أنشئت الجامعة المصرية اتجهت هي الأخرى إلى دراسة التفسير، وقد أحيت المنهج اللغوي الأدبي في فهم النص القرآني وتفسيره بعيداً عن الدينيات وتأثير الفلسفة والمنطق، غير أن دراسة التفسير في الجامعة لم تخرج عن الطريقة المألوفة، إلى أن تولى الأستاذ أمين الخولي درس البلاغة العربية، والتفسير، والأدب المصري، بها، فسلك بهذه الدراسات مسلكاً جديداً، وكانت دعوته إلى تجديد حياة التفسير القرآني، وارتباط الدرس القرآني بالدرس البلاغي عنده يفسر لنا -في رأي بعضهم- لماذا انتحى التجديد في التفسير عنده منحى أدبياً؟

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي 16/2.

لقد كان اشتغاله بتفسير القرآن اشتغالاً منهجياً، كما كان مرتبطاً بالبلاغية، والارتباط قديم يعرفه كل من له إلمام بتاريخ الثقافة العربية، فأهم كتب البلاغة العربية كانت مرتبطة ببيان إعجاز القرآن الكريم؛ ذلك أن البلاغة إذا كانت تتبّعاً لخواص الأساليب الجيدة، أو كشفاً عن أصول الحكم بالجودة لكلامٍ ما، فلا بد لها من أن تستقرئ أحكامها من الكتاب المعجز، ولعل هذه الصلة الوثيقة التي هدته إلى النظر في مناهج المفسرين، فرآها في معظم الأمر انحرافاً عما ينبغي القصد إليه؛ إظهاراً لبلاغة القرآن(١).

ومن هنا أوجب العناية بالتفسير الأدبي للقرآن، على أنه المقصد الأساس، يتبعه ما شاء المفسر من مقاصد أخرى(٢).

الفرع الثاني: المقصد الحقيقي(٣) عند أمين الخولي من التفسير البياني:

قال رحمه الله –مبيناً المقصد الحقيقي للتفسير عند الإمام محمد عبده، ومعقّباً عليه- : «فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن، وهو مقصد جليل ولا شك، يحتاج المسلمون إلى تحقيقه، لكن ليس بدعاً من الرأي أن ننظر في هذا المقصد لنقول: إنه ليس الغرض الأول من التفسير، وليس أول ما يعنى به ويُقْصَد إليه، بل إن قبل ذلك كله مقصداً أسبق

---

(١) ينظر: اتجاهات التجديد، محمد إبراهيم شرف ص 356.

(٢) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي ص 10، واتجاهات التجديد، محمد إبراهيم شرف ص 356.

(٣) لا بد قبل أن نبدأ في بيان قواعد وأسس التفسير البياني، أن نحدد المدلولات الحقيقية لبعض المصطلحات ذات العلاقة وهي:

أ –الاتجاه التفسيري: مجموعة المبادئ والأفكار المحددة التي يربطها إطار نظري وتهدف إلى غاية بعينها.

ب – المنهج: هو الوسيلة المحقِّقة لغاية الاتجاه التفسيري، والوعاء الذي يحتوي أفكار هذا الاتجاه التفسيري.
ينظر: اتجاهات التجديد، محمد إبراهيم شريف ص 63.

وغرضاً أبعد تتشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم عليه المقاصد المتعددة، ولا بد من الوفاء به قبل تحقق أي مقصد آخر، سواء كان ذلك المقصد الآخر علمياً أم عملياً، دينياً أم دنيوياً... وذلك المقصد الأسبق، والغرض الأبعد، هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخلد العربية، وحمى كيانها، فصار فخرها وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدِّين ما دام شاعراً بعربيته، وسواء أكان مسلماً أو غير ذلك، فإنه سيعرف بعروبته منزلة هذا الكتاب ومكانته في اللغة، دون أن يقوم ذلك على شيء من الإيمان بصفة دينية للكتاب، أو تصديق بعقيدة فيه، وليس هذا لجنس العرب فحسب، بل إن الشعوب التي ليست عربية الدم أصلا ولكن وصلها التاريخ بهذه العروبة فارتضت الإسلام ديناً أو خالطت العرب واتخذت العربية أصلاً من أصول حياتها الأدبية حتى صارت عنصراً أساسياً وجانباً جوهرياً من شخصيتها اللغوية الفنية، قد صار لكتاب العربية الأعظم مكانته بين ما تعنى به من دراسة أدبية.

فالعربي أو من ربطته بالعربية تلك الروابط، يقرأ هذا الكتاب الجليل، ويدرسه درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة، وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً وفاءا بحق هذا الكتاب ولو لم يقصدوا الاهتداء به، أو الانتفاع بما حوى وشمل، بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا، ولو لم تنطوِ صدورهم على عقيدةٍ مّا فيه، أو انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس.

وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني هو ما نعتدّه -وتعتدّه معنا الأمم العربية أصلاً واختلاطاً- مقصداً أول وغرضاً أبعد يجب أن يسبق كل غرض، ويتقدم كل مقصد.

ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي، أن يعمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما شاء ويقتبس منه ما يريد... وليس شيء من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد، دراسة صحيحة كاملة مفهمة له،

وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً؛ لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها.

فجملة القول: إن التفسير اليوم هو: الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه، هذه هي نظرتنا إلى التفسير، وهذا غرضنا منه، وعلى هذا الأساس نقصد لبيان طريقة تناوله ومنهج دراسته»[1].

وبالنظر إلى ما كتبه أمين الخولي في كتابه: (التفسير معالم حياته، منهجه اليوم) وكتابه: (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) يتضح لنا أنه يرى أن المقصد الأول من القرآن كونه كتاب العربية الأوحد، وأن كل مقصد بعد ذلك هو مقصد تبعي، وكذلك يظهر أن اتجاهه في التفسير أدبي.

والاتجاه هو المقصد والغاية، ويحتاج إلى خطة لتحقيقه.

الفرع الثالث: خطوات المنهج البياني في التفسير:

لقد وضع أمين الخولي خطته لتحقيق مقصده فكانت كما يلي:

أولاً: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض، ويتدبرها جميعاً، ويفسرها كذلك.

ثانياً: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.

ثالثاً: أن يدرس دراسة خاصة ما حول النص، كتاريخه، وأسباب نزوله، وجمعه، وكتابته، وقراءاته، ونحو ذلك من علوم القرآن.

رابعاً: ثم يقدم دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية، والبيئة المعنوية في تاريخ هذه الأمة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها.

خامساً: دراسة النص القرآني في مفرداته، وذلك بدراسة:

أ- استعمالات هذه المفردة لغوياً.

---

(١) التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم، أمين الخولي ص 33-35، وينظر: مناهج تجديد، أمين الخولي ص 302-304، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي 3/884-885.

ب-دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، ومدلولها في كل موضع.

سادساً: دراسة النص القرآني في معانيه المركبة، وذلك بطريق العلوم الأدبية من نحو وبلاغة، من نحو: على لأنه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده. ومن بلاغة: على أنها هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، مع التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية؛ لمعرفة كل منها، ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته(١).

سابعاً: يختم خطته بالإشارة إلى ما ينبغي مراعاته من التفسير النفسي؛ لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن؛ حيث يقول: «وعلى قدر ما يتسلح المفسر من ميزة بالنفس الإنسانية يكون تفسيره للنص أدق وأعمق، وهو من هذه الناحية يكشف عن أسمى ما جاء به النص من معان تسمو بها النفس الإنسانية ويرتفع به أمرها، فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانية، وأن الفنون على اختلافها –ومن بينها الأدب- ليست إلا ترجمة لما تجد النفس، والقرآن ليس إلا أثراً أدبياً وطرفة من الفن القولي، واللمحة النفسية في المعنى القرآني ربما كانت أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين»(٢).

تلكم هي أبرز النقاط التي وضعها الأستاذ أمين الخولي لمنهجه في التفسير، إلا أن هذه الخطوات ظلت مجرد نظرية، ولم تخرج بعدُ دراسة تطبيقية كاملة لهذا المنهج، وكل ما صدر من مؤلفات حتى لأمين الخولي نفسه إنما هي محاولات جزئية بعيدة عن الهدف، واعترف هو نفسه بقصوره وعدم قدرته على ذلك، قائلاً: «وأولى لنا أن نؤثر هذه الحقيقة على أن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة

---

(١) ينظر: التفسير: معالم حياته، ومنهجه اليوم، أمين الخولي ص 35-44، نقلاً عن بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي ص 108.

(٢) ينظر: مناهج تجديد، أمين الخولي ص 315، 328، نقلاً عن: اتجاهات التجديد، د. محمد إبراهيم شريف، ص 367.

الموفورة، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص، فذلك بنا من التزيد الزائف»[1].

الفرع الرابع: أمثلة تطبيقية للتفسير البياني:

قدّم الأستاذ أمين الخولي تفسيره في دراسات، تحت عنوان: (من هدي القرآن) واشتملت على مجموعات متعددة من الاتجاهات ذات الموضوع الواحد، كالسلام والإسلام، والطغيان في العلم والمال والحكم، وحكومة القرآن، والحكم بما أنزل الله، والفن والبيان في القرآن، والقرآن والحياة، والقسم القرآني، والجندية والسلم، والقادة الرسل، وفي أموالهم، وشخصية محمد، وفي رمضان، وغير ذلك.

وإذا نظرنا إلى هذه الدراسات وغيرها مجتمعة وجدناها تحتفظ من المنهج بالخصائص التالية:

١ -أنها تدرس القرآن الكريم حسب الموضوعات، وليس حسب تسلسل السور في القرآن.

٢ -أنها تهدف إلى التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن للحياة الإنسانية، وترى أن هذا هو المجال الخاص للقرآن، وأن السبيل هو المفردة لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية.

٣ -أنها تعمد إلى معاني الآيات التي تؤديها ألفاظ العربية كما كان يفهمها أهل العربية في عهد نزول القرآن، ولا تتجاوزه إلا لالتماس ما للفظ والنظم من إيحاءات أدبية وفنية[2].

---

(١) ينظر: التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم، أمين الخولي ص 35-44، نقلاً عن: بحوث في أصول التفسير، د. فهد الرومي ص 106.

(٢) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي 903/3.

الفرع الخامس: تقويم مثال من تفسير الأستاذ أمين الخولي في ضوء منهجه:

من خلال الاطلاع على كتاب [1]: "من هدي القرآن في أموالهم، مثالية لا مذهبية" وهو في الأصل أحاديث إذاعية[2].

١ - بدأ بطائفة من الآيات في موضوع المال، لكن لم يرتبها ترتيباً تاريخياً حسب النزول، كما هو الأصل في منهجه الذي رسم خطواته[3].

٢ - مدخل إلى الموضوع بعنوان: (لمحات عامة)، تناول فيها نظرة القرآن للمال عامة، وغريزة حب التملك عند الإنسان، وعرّج على المسؤولية النفسية.

٣ - وتحت عنوان: (بين القصد والجور)، ذكر قوله تعالى: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ [الرعد: 26]، تحدث فيه عن فطرة حب التملك، وعما تحتاجه في الإنسان من مراقبة وملاحظة؛ لأنها حين تجنح إلى ما لا خير فيه، تكون وبالاً على الفرد والأمة، ومضيعة لما هي وسيلة إليه وسبب، من العزة والغلبة والكرة والدولة، فهي إذن بحاجة ماسة إلى التوجيه السديد، وهذه المراقبة ليست يسيرة المؤونة ولا سهلة الممارسة[4].

وأحسب أن القرآن قد التفت التفاتاً قوياً إلى هذا الشأن للغريزة في القصد والجور، وهو يحد من شرها عند هذا الجموح في مثل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ [المنافقون: 9] [5].

---

(١) اقتصرت في التقويم على جزئية من الكتاب وهي من ص 19-51، وهي صفحات يسيرة من مجموع صفحات الكتاب (160) صفحة، ولذا أعتذر عن عدم دقة التقويم، ولكنها محاولة قد نخرج منها بشيء من الفائدة.

(٢) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 3.

(٣) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 19-20.

(٤) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 33، باختصار.

(٥) ينظر: المرجع السابق.

كما يسوق للعبرة حال من أفسد أمرَه مالُهُ وولَدُهُ في قوله عن نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾ [نوح:21].

وفي قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين ﴾ [القلم: 12].

بمثل هذه الحالة من فساد الحال بجموح نزعة التملك والتحول...

يقضي القرآن أن يكون المال والولد وسيلة إلى القربى والزلفى عند الله عز وجل فيقول: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ [سبأ: 37].

وبهذا القصد والاعتدال ينهى القرآن عن الإعجاب والاغترار بالأموال والأولاد قال تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾[التوبة: 55][1].

وسترى القرآن، كما لفت إلى انحراف الرغبة في المال، قد لفت كذلك إلى الرشاد والصواب في سلوكها، وبم يكون؟ فكان لنا في هذا ما يتكامل مع حديثه عن انحرافها في بيان ما يريده القرآن من سلوك خير لأصحاب الأموال، وفي الحديث عن هذا الاتجاه الراشد لأصحاب المال يقول: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ [التوبة: 88]، وقال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: 27].

ولن يكون الإنفاق بالليل والنهار، في السر وفي العلن إلا من مال كثير، يجدُّ في سبيل جمعه أولئك المنفقون[2].

---

(١) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم ـ أمين الخولي ص 35.
(٢) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 38-39.

بهذه الآيات وأمثالها لفت القرآن أقوى لفت إلى خيرية غريزة التملك المهذبة الموفقة، فالقرآن بعد مسلكه النفسي في تقرير هذه الحقيقة عن الفطرة يشير إلى أنها في حاجة إلى رقابة مرشدة وتوجيه سديد(١).

ووضّح في تحويلٍ نفسي، أن القرآن حين يقصد إلى تعلية غريزة التملك وتوجيهها، لم يعمد قط إلى هذا القمع الكابت، فلم يجعل المال لعنة ولا الغنى خطيئة، ولا طرد الغني من ملكوت الله ولا وجه إلى الزهد المنقطع عن الحياة(٢).

ثم تكلم الخولي عن (تعديل البيئة) فإذا كان أصحاب النفسيات يقدّرون في تهذيب الغريزة، تأثير التحويل النفسي، والتبديل النفسي، والاستعانة بغريزة على غريزة، فإنهم يقدرون –كذلك- فعل المؤثرات الخارجية في هذا التهذيب ويقررون أن الإنسان يتأثر بما حوله من نظم وأوضاع يخضع لها.

وفي الحقِّ أن القرآن قد قدر الأثر النفسي للبيئة حينما قدر الوحدة الاجتماعية والصلة الوثيقة بين الفرد والجماعة.

وفي الحق -أيضاً- أن القول عن عمل القرآن في (تعديل البيئة) التعديل الخاص بتهذيب غريزة التملك قول تتسع آفاقه وينبسط مداه، والقرآن حين يهذب غريزة التملك في أصحاب القرآن يجمع بين الواقعية والمثالية(٣).

وبين الخولي عناية القرآن (بالاتزان) في المال والوسطية فيه، فنجد القرآن يتحدث عن إنفاق الجمع المتزن، فيقول: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ [الفرقان: 67]. وعن إنفاق الفرد المتزن، فيقول: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء:29]، حرصاً على حياة الفرد والجماعة، فكذلك ينبغي أن نكون دائماً أمة وسطاً، وتكون جماعتنا في ذلك وأفرادنا سواء، وهذا الاتزان هو الأساس الأول والفكرة العامة في حل مشكلة المال، حلا يقي الحياة ويلات الآراء الخاطئة(٤).

---

(١) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 40.
(٢) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 43-44.
(٣) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 48.
(٤) ينظر: من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي ص 81-83.

وبعدُ: فهذا عرض مختصر سريع، لبعض ما جاء به الأستاذ أمين الخولي، مما سمّاه التفسير الأدبي، وإذا طبقنا منهجه على هذه الجزئية التي ضمنها أحاديثه: (من هدي القرآن: في أموالهم) نجد ما يلي:

أولاً: أن هذه الدراسة جاءت غير شاملة وغير وافية؛ لأنه لم يتكلم في تاريخ النص، ولم يذكر أسباب النزول، ولا البيئة التي نزل بها النص.

ثانياً: أنه نظر في الآيات نظرة مجملة، وكل نظره في المفردات، وهذا مخالف لمنهجه.

ثالثاً: وقد طبق في هذه الجزئية الخطوة الرابعة من منهجه، وهي دراسة عامة للنص من ناحية البيئة المادية والبيئة المعنوية.

رابعاً: هذا المثال يبين لنا أن الأستاذ أمين الخولي رحمه الله تعالى، لم يلتزم بمنهجه، لا سيما بعد أن طبع أحاديثه الإذاعية، وقدم لها، وكان من الممكن مراجعة منهجه في هذا الكتاب الذي طبع. هذا والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث
الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن (1912-1998م)

الفرع الأول: حياتها العلمية ومؤلفاتها:

تلقت علوم الإسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الديني الأزهري بدمياط وتقدمت من المنزل لامتحان كفاءة المعلمات سنة 1929م ثم الشهادة العامة الابتدائية سنة 1931م والكفاءة والثانوية سنة 1932م والبكالوريا سنة 1934م دون أن تلتحق بأية مدرسة لهذه المراحل.

ثم تابعت الدراسة الجامعية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة حتى نالت:

- الليسانس الممتازة في اللغة العربية سنة 1939م.
- الماجستير في الآداب سنة 1941م.
- الدكتوراه في الآداب، تخصص نصوص سنة 1950م.

وأشرفت على عدد كبير من الرسائل العلمية في مختلف البلدان العربية، كما شاركت في عدد من المؤتمرات.

أهم مؤلفاتها:

قدّمت الدكتورة عائشة إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتاباً، منها:

- في الدراسات القرآنية والإسلامية:

1- التفسير البياني للقرآن الكريم: في جزئين (طبع ثمان مرات).
2- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (طبعتان).
3- مقال في الإنسان (دراسة قرآنية).
4- تراجم سيدات بيت النبوة في (خمسة أجزاء) (خمس عشرة طبعة).
5- الإسرائيليات في الغزو الفكري.

- في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية، لها عدد من المؤلفات منها:

1- لغتنا والحياة.

2- تراثنا بين ماض وحاضر.
3- الخنساء.
ولها غير ذلك من المؤلفات والبحوث[1].

الفرع الثاني: منهجها في التفسير:

سارت على المنهج الذي وضّحه أستاذها: أمين الخولي.

تقول في مقدمة كتابها (التفسير البياني): والمنهج قد شرحه أستاذنا الإمام أمين الخولي، في كتابه الجليل (مناهج تجديد).

ولا بأس في أن ألخص ضوابطه هنا:

1- الأصل في المنهج: التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

2- في فهم ما حول النص:

أ ـ ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان.

ب ـ كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية.

ج ـ دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.

د ـ وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية.

هـ ـ وأن الخلاف في أسباب النزول يرجع غالباً إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة، ربطها كل منهم بما فَهِم أو بما تَوَهَّم أنه السبب في نزولها.

---

(١) أخذت هذه الترجمة من (بيان وتقرير عن الأستاذة عائشة بنت عبد الرحمن، المرشحة من جامعة عين شمس لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة 1403هـ). نقلاً عن كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د فهد الرومي (924/3 - 925).

3- في فهم دلالات الألفاظ:

أ ـ نقدّر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية.

ب ـ نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها العام في القرآن.

4- في فهم أسرار التعبير:

أ ـ نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحاً، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص.

ب ـ نتحاشى ما أقحِم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات، وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل.

ج ـ كما نحتكم إلى الكتاب العربي المبين المحكم في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، فنعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين، ولا نعرضه عليها.

د ـ ولا نأخذ فيه بتأويلٍ لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة؛ إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه.

هـ ـ وهو النص الموثق الذي لم تَشُبْه من أي سبيل أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بموضع ضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليه ما يجوز عليها من تأويل(١).

هذه هي أبرز قواعد وأسس منهجها في التفسير كما نصت عليها.

الفرع الثالث: مثال تطبيقي على مدى التزامها بمنهجها:

اخترتُ نموذجاً تطبيقياً واحداً لمدى التزامها بمنهجها، وهو تفسيرها للآية الأولى من سورة التكاثر، وهي قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾.

أولاً: بيان تاريخ السورة وموضوعها:

قالت -رحمها الله-: "السورة مكية بلا خلاف، وهي السادسة عشرة في ترتيب النزول على المشهور، نزلت بعد الكوثر، ولا يخطئ الحس فيها

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 1/10-11.

سيطرة جو الوعيد والإنذار، يعمد فيه البيان القرآني إلى الإيجاز الحاسم، مع التأكيد الجازم، تقوية للردع، وبلاغة للوعيد"[١].

ثانياً: أسلوب الآية بين الخبر والإنشاء:

ذكرت أن السورة تبدأ بهذه الجملة الخبرية القصيرة: ﴿ألهاكم﴾ لكنّ الرازي أخرجها من الإخبار إلى الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتقريع.

والخبرية هنا أوقع وأبلغ في الوعيد، بما تشهد به على أن إلهاء التكاثر إياهم واقع قد كان فعلاً، وليس المقام مقام استفهام، وإنما هو مقام بيان لما وراء هذا التكاثر العقيم الخاسر الذي ألهى القوم وشغلهم عن التفكير في المصير[٢].

التعليق: رجحتْ أن الصحيح في أسلوب الآية هو الأسلوب الخبري؛ وليس -كما قال الرازي- أسلوباً إنشائياً؛ لأن سياق النص في الكتاب المحكم يحتمل الخبرية نصا وروحاً، ولأنها تعرض أقوال المفسرين على سياق النص فتقبل منها ما يقبله النص.

ثالثاً: تحديد الدلالة اللغوية للّهْو:

قالت: اللهو لغة: ما يلهى الإنسان، ولعل أصل استعماله في اللهوة، وهي ما يلقيه الطاحن في فم الرحى بيده ويشغلها به فلا تدور على هواء[٣].

رابعاً: الموازنة بين اللهو والمَشغلة واللعب، وتحديد الفرق بين هذه المفردات من خلال الاستعمال القرآني وأقوال العلماء:

وقالت في ذلك: "ولا يترادف اللهو والمشغلة في القرآن الكريم، بل يأتي الشغل بالمجدي وغير المجدي، أما اللهو فلا يكون إلا بغير المجدي، وهو ما التفت إليه (الراغب) حين فسر الإلهاء في سورة التكاثر، بالاشتغال عما هو أَهَمّ. وعند (الرازي) أنه الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.

التعليق: يظهر من خلال ما ذكرتْهُ أن اللهو لا يكون إلا في غير المفيد، بخلاف المشغلة فقد تكون في المفيد وغير المفيد.

---

(١) ينظر: التفسير البيان للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 195/1.
(٢) ينظر: التفسير البيان للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 195/1.
(٣) ينظر: التفسير البيان للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 195/1.

ثم نقلتْ عن أبي هلال العسكري في (الفروق اللغوية) تفريقه بين اللهو واللعب، بأن كل لهوٍ لعبٌ، وليس كل لعبٍ لهواً.

التعليق: بعد نقلها السابق تحتكم إلى القرآن في التوجيه البياني.

فتقول: وصنيع القرآن يؤذن بأن اللهو قد يكون ليس بلعب، فقد عُطِف اللهو على اللعب، أو العكس، في آيات:

- قال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴾ [الأنعام: 32]. ومثل الآيات في: [الأنعام آية: 70]، [محمد آية: 26]، [الحديد آية: 20]، [الأعراف آية: 51].
- وقال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ [العنكبوت: 64].

ودقة الاستعمال القرآني تستبعد في مثل هذا المقام، أن يكون فيه ما يُعَدُّ من عطف التفسير، وإنما اللهو مشغلة بغير المجدي، تكون بلعب وغير لعب(١).

خامساً: تتبّع النظائر من الملهيات الشاغلة التي نصّتْ عليها الآيات:

1- إلهاءُ شخصٍ: ﴿وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى﴾ [عبس: 10].

2- إلهاءُ الأموال والأولاد: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ [المنافقون: 9].

3- إلهاء التجارة والبيع: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: 37].

4- إلهاء الأمل: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾ [الحجر: 3].

5- لهو الحديث: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ [لقمان: 6].

ثم تقول: "والمتعين في آية التكاثر، أن الإلهاء فيها بالتكاثر"(١).

---

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ 1/195-196.

سادساً: تفسير لفظة (التكاثر) في قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾.

1- تحديد الدلالة اللغوية للفظة التكاثر: وهو لغة: تفاعُلٌ من الكثرة نقيضُ القلة، ونماءُ العدد، وإليه ذهب الراغب في (المفردات) فقال: "القلة والكثرة يستعملان في الكمية المنفصلة في الأعداد، كما أن العِظَم والصِّغَر للأجسام".

ويُكْنَى بالقلّة عن الذلّة، كما يكنى بالكثرة عن العِزّة:

قال الشاعر:

..... * وإنما العزة للكَاثِرِ[٢].

2- استقراء مادة الكثرة في مواضع ورودها في القرآن، للوصول إلى دلالة التكاثر في الآية:

قالت: ومنه قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ [الأعراف: 86].

والتكاثر ورد في القرآن مرتين:

- قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر: 1].

- وقوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: 20].

وفُسِّر التكاثر في الآيتين بأنه المبالغة بالكثرة.

سابعاً: الاحتكام إلى سياق النص في الكتاب المحكم مع الالتزام بما يحتمله نصاً وروحاً، وترجيح ما يناسب السياق من أقوال المفسرين.

قالت –رحمها الله-: وجعل الرازي التفاخر والتكاثر شيئاً واحداً، وهو ما لا يوافق نَسَقَ آية الحديد، إذ عُطِف التكاثر على التفاخر، وحَمْلُ هذا العطف على التكرار، مضيّعٌ لبَهاء الآية ودقة نسقها.

والعربيةُ استعملت: كاثره المال، واستكثره إياه، إذا أراد لنفسه منه كثيراً، وإن كان المال قليلاً، وبهذا المعنى يفسَّر التكاثر في آية الحديد، وأنه

---

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ 196/1.

(٢) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ 196/1.

التكالب على حطام الدنيا ومحاولة الاستئثار به، وهذا شيء غير المباهاة والتفاخر[1].

التعليق: رجّحتْ أن معنى التكاثر هو المبالغة بالكثرة، كما يفيده وزن التفاعل في اللغة، كما أنّ حَمْلَ المعطوف على معنى جديد أولى من جعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحداً، وإن كان أكثر المفسرين مال إلى عدّ التكاثر هنا مباهاة وتفاخراً، متأثرين في ذلك بما روي في أسباب النزول.

ثامناً: ذِكْرُ سبب نزول الآية:

ذكرتْ سبب النزول وأنها نزلت في اليهود، ونقلتْ ذلك عن أبي حيان في البحر المحيط.

كما ذكرتْ قلو النيسابوري: أنها نزلت في التكاثر بالأموات منهم.

تاسعاً: بيان الراجح في موضوع التكاثر، بناء على نص الآية وبالاستئناس بآيات أخرى:

ذكرتْ –رحمها الله- أن الآية لم تحدد موضوع التكاثر، وليس من السهل أن نخصه بالمال على ما ذهب إليه الراغب، أو نقصره على العدد كما قال الرازي، أو الموتى كما قال النيسابوري.

كما لا وجه لاحتمال أن يكون التكاثر هنا على الاستغراق والتعميم، وهو ما دعا مفسرين إلى أن ينبهوا إلى قَصْره على ما هو مذموم، كأنما أشفقوا أن يُفْهَم أن التكاثر فيما هو خير وطاعة وحق داخل في عموم اللفظ في سياق الوعيد.

لكن بالاستئناس بآية الحديد، يكون التكاثر هنا في الأموال والأولاد، وهو ما يبدو أن الطبري والزمخشري اطمأنّا إليه.

ونضيف: أن إسناد {ألهاكم} إلى التكاثر، يغني عن كل تأويل، بصريح النص على أنه التكاثر فيما يلهي[2].

التعليق: يظهر مما ذكرته أن عموم الإلهاء ليس مقصوداً؛ لأن التكاثر فيما هو خير وطاعة ليس مذموماً، كما أن قصر الإلهاء على جزئية معينة ليس سديداً، وإنما مقصود الآية هو الإلهاء بالتكاثر بالأموال

---

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 197/1.

(٢) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 197/1– 198.

والأولاد، كما أشارت إليه آية سورة الحديد، إضافة إلى إسناد الإلهاء إلى التكاثر.

عاشراً: الترجيح بقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب):

رجحتْ –رحمها الله- بناء على قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أن الخطاب هنا عام لكل من ألهاهم التكاثر والتكالب على زينة الدنيا من مال وولد، مهما تكن خصوصية السبب الذي قيل إن الآية نزلت فيه[1].

وبعدُ: فهذا عرض مختصر وسريع لبعض ما جاءت به الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن من التفسير البياني للقرآن الكريم.

وبعد تطبيق منهجها على هذه الجزئية نجد ما يلي:

١ -أن بنت الشاطئ كانت أدق في منهجها، وأكثر التزاماً من أستاذها.

٢ -أنها بذلت جهداً كبيراً، حيث إن تطبيق هذا المنهج بخطواته شديد الصعوبة يتطلب من المفسر مجهوداً ذاتياً مضنياً، وإحاطة كاملة بالقرآن.

٣ -وقد أحسنت الاختيار عندما فسرتْ قصار السور، حيث قالت: "وأتجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعضِ سُورٍ قصارٍ، ملحوظٍ فيها وحدة الموضوع، فضلاً عن كونها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية[2].

٤ -كما أنها -والحق يقال- جاءت بمنحى آخر في هذا الاتجاه، فعندما لم تلتزم موضوعاً بعينه، اختارت سوراً قصاراً لاحظت فيها وحدة الموضوع إلى حد مّا، فهي بذلك لم تخرج عن التفسير التقليدي بالتزامها للسورة إطاراً لتفسيرها، وهي أيضاً لم تبعد كثيراً عن التفسير الموضوعي؛ لمراعاتها وحدة الموضوع في كل سورة تناولتها بالتفسير، وبهذا يمكن أن نقول إنها قد جمعت في محاولتها بين التحديد

---

(١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت عبد الرحمن 198/1.

(٢) ينظر: التفسير البياني، د. عائشة بنت الشاطئ ص 18.

الموضوعي، وبين التناول الأدبي التقليدي للسور التي فسرتها[1].

- ٥ -كشفت وجهاً آخر في التفسير له أصالة، وذلك عن طريق تتبع الأسلوب القرآني ومفردات القرآن، حيث يجد القارئ أن للقرآن الكريم قواعده، وأن له استعمالات ينبغي أن لا تغيب عن ذهن مفسر للقرآن الكريم[2].

(١) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ج. محمد إبراهيم شريف ص 597-598، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي 956/3.

(٢) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي 956/3.

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج لهذه الدراسة الموجزة:

١. أن الاتجاه لهذا اللون من التفسير أدبي، وأما المنهج فكان قائماً على اللغة والبلاغة والتفسير، وكذلك المنهج الاجتماعي.

٢. أن تطبيقه بكل الخطوات التي وضعها الأستاذ أمين الخولي، يعدّ شديد الصعوبة، حيث يحتاج المفسر إلى بذل مجهود كثير لتحقيق ذلك.

٣. إطلاق مصطلح جديد في التفسير وهو (التفسير البياني للقرآن الكريم). ولم أجد من عرفه تعريفا جامعاً مانعاً، بحسب بحثي لدراسة أصحاب هذه المدرسة.

٤. لم يقدم أمين الخولي -رحمه الله تعالى- خطة لتحديد الموضوعات التي يتناولها هذا التفسير، أو خطة لتصنيف القرآن تصنيفاً، ولكنه اختار موضوعات، تنحو:

- إما منحىً أدبياً مثل قصص القرآن أو تشبيهاته أو أمثاله، والقَسَم القرآني والفن البياني في القرآن الكريم.
- أو منحىً نفسياً اجتماعياً، مثل السلام والإسلام، وغير ذلك من الموضوعات ذات وحدة واتساق. وهذا كله مقبول عندما يمارس المفسر عمله بصورة فردية.

٥. سكت عن طريقة ترتيبه تاريخياً؛ لأن هذا الترتيب التاريخي يشكل الصعوبة الحقيقية في المنهج الأدبي للتفسير، بل إن هذا الصعوبة تكاد ترتفع إلى درجة الاستحالة والتعذر.

٦. قَصَرَ دعوته على العرب ومن وصلتهم بالعروبة صلات وثيقة، ويؤكد على هذا حين يقرر أن الكتاب الكريم هو فنّ العرب الأقدس، فهؤلاء وحدهم هم الذين يدرسونه، وكأنهم هم المخاطبون بهذه الرسالة فقط.

٧. كان يقول إن القرآن نص أدبي قبل كل شيء، وربما الذي جعله يقول هذا هو أن القرآن أصلاً معجزة لقريش، وقريش مشهورة بالبلاغة والفصاحة والبيان، وإرادة التشريع هدف ثانٍ من أهداف القرآن، فلذا عبر وقال: "إنّ القرآن نص أدبي، إن القرآن كتاب تشريع وإعجاز بياني، القرآن معجزة اشتهرت بالبلاغة والفصاحة، وكذلك التشريع فيه فصاحة وبلاغة وبيان".

٨. أنه ظهر في وقت كان الناس في غفلة في دينهم بسبب التغريب والانبهار بالحضارة المادية، فكان لأصحاب هذا الاتجاه دور في لفت الأنظار إلى ما في القرآن من الإعجاز البياني.

وفي نهاية هذا البحث أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولوالدَيّ، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وأن يجزي كل من خدم هذا الدين خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١ - التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ. د. فهد الرومي، الرياض، الطبعة الثانية 2007م.

٣ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد الرومي، دار الرسالة، الطبعة الأولى 1407هـ.

٤ - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى 2008م.

٥ - خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د. محمد رجب بيومي، طبعة عام 1971م.

٦ - من هدي القرآن في أموالهم، أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

مفاتيح التفسير معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهماته، أ. د. أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية الرياض، الطبعة الأولى 2010م.